أهداف المحاضرة:

_ تحديد مفهوم الثقافات الفرعية.

_ التعرف على أهم القضايا التي ارتكزت عليها هذه النظرية

_ محاولة اسقاط النظرية على ظاهرة من الظواهر الاجتماعية في المجتمع الجزائري

ملخص النظرية:

لقد خلص العالم" **كوهن** "سنة 1955 من دراساته حول الانحراف أو الجنوح، وكيفية تبلور ثقافة خاصة بالأطفال الجانحين تدعم توجهه نحو هذا النمط من السلوك بالقول: بأن أطفال الطبقة الدنيا يعانون من مشاكل أشد من تلك التي يعاني منها أطفال الطبقة المتوسطة، الذين يعانون بدورهم من مشاكل أشد من المشاكل التي يعاني منها أطفال الطبقة العليا، ولقد وجد أن معايير الطبقة الوسطى هي المستخدمة في الحكم على السلوك عند أطفال الطبقة الدنيا في المدرسة والنوادي وغيرها من المؤسسات التي يتفاعل فيها هؤلاء الأطفال مع المجتمع، ولأن هؤلاء الأطفال لا يشعرون بالتفاف وقبول من حولهم، ولأنه من الصعب عليهم مجاراة وتقبل معايير الطبقة الوسطى، ولأن من شروط تكون ثقافة فرعية هو وجود فئة من الأفراد تعاني نفس المشاكل، لذلك تتكون ثقافة فرعية تعالج مشاكل هؤلاء الأطفال، والتي من أهمها مشكلة التكيف، فتطور لهم معايير سلوكية تستطيع مجاراة التغير في المجتمع ليبلغوا بذلك أهدافهم الأساسية وطموحاتهم، ويحققوا بذلك ذواتهم، الأمر الذي يزيد من انتمائهم لهذه الثقافة، لأن هذه المعايير الثقافية لا تكون جميعها مقبولة في الثقافة العامة بالمجتمع، لأن فيها العديد من الانتهاكات لحدود التسامح، ويحدث جراء ذلك أن تتصارع معايير وقيم الثقافة الفرعية التي كونها أبناء الطبقة الدنيا وبين معايير الثقافة العامة بالمجتمع، ومن منطلق المعطيات السابقة، تقوم الثقافة الفرعية بتأكيد المعايير المطورة وتأكيد رفضها لمعايير الطبقة الوسطى.

تنطلق هذه النظرية من أن المجتمع الواحد لا تسوده ثقافة واحدة، وكذلك ليس من الضرورة أن توجد كل السمات التي تؤلف الثقافة الواحدة في كل قطاع من قطاعات المجتمع، فكثيرا ما تقتصر بعض السمات الثقافية على قطاع واحد من قطاعات المجتمع دون بقية القطاعات، كذلك أن كل مجتمع يشتمل على تقسيمات فرعية في داخله وتزداد تلك التقسيمات كلما تقدمت ثقافته وزادت درجة التخصص بين

أعضائه، وتتميز كل جماعة بنظم وعناصر ثقافية خاصة بها، ولا توجد هذه في الكثير من الأحيان في غيرها.

كما نجد أن" **كوهن Cohen** " قد استخدم مفهوم الثقافة الخاصة في تحليله لأنماط معينة من السلوك المنحرف، حتى أصبح مفهوما أساسيا من مفهومات الجريمة، فقد استخدم" كوهن "هذا المفهوم في كتابه "الأولاد الجانحون " أو الأطفال الجانحون– Déclinquent Boys – عام 1955 ، ليوضح أن هناك طريقة معينة في الحياة قد أضحت نمطًا تقليديًا بين جماعات الأحداث الجانحين، وينتشر هذا النمط بصفة خاصة في المناطق المفككة والمنهارة في المدن الكبرى، وينظر" كوهن" إلى الثقافة الخاصة باعتبارها بناء يتضمن مجموعة من المعتقدات والقيم والرموز، وعلى أنها نمط معين من المعرفة تتميز به عن غيرها من الثقافات الأخرى الخاصة.

هنا يمكن القول بأن فضل" **كوهن** "يعود إلى اكتشافه للعلاقة القائمة بين كل من الثقافة الفرعية الجانحة والانحراف والإجرام، حيث تعد هذه الثقافة في تباينها وتعارضها مع الثقافة العامة، ذلك ما يشجع على معادة القوانين من طرف الأفراد، ويغرس فيهم بذور الانحراف والجريمة.

وقد استخلص" **كوهن** "من دراسته الميدانية أن السلوك الانحرافي والإجرامي المرتكب من طرف أبناء الطبقة الدنيا هو بمثابة رد فعل انتقامي، وشكل من أشكال التعبير عن رفض أبناء هذه الطبقة للمعايير والقيم السائدة في الطبقة الوسطى، كون أن الظروف القائمة لا تسمح لأبناء الطبقة الدنيا بتحقيق أهدافها وطموحاتها، وهذا ما أكده كذلك العالم **روبيرت ميرتون** في تناوله بالدراسة للتناقض القائم بين كل من الأهداف والوسائل المتاحة لأبناء الطبقة الدنيا، ونفس الشيء بالنسبة الطبقة الوسطى مقارنة بالطبقة العليا.

وقد توصل" كوهن" إلى أن المكانة التي يحتلها الأفراد في النسق الاجتماعي يمكن أن تشكل مصدر إحباط وهذا ما سماه ب " إحباط المكانة Status frustration الأمر الذي يدفع بأفراد الطبقة ذات المكانة المحبطة – أي هنا الطبقة الدنيا– إلى الانضمام إلى عصابات إجرامية كما وصف" كوهن "هذه الجماعات المراهقة الإجرامية أو العصابات باللانفعية والكرهية والسلبية والمتعة المؤقتة أي الوقتية.

وتتمثل فرضيات هذه النظرية في:

1_ انحراف الأحداث في الطبقة الدنيا يرجع إلى إحباطهم الشديد بسبب شعورهم بتدني منزلتهم الاجتماعية الناشئة عن انتمائهم لطبقة اجتماعية دنيا يولدون بها، وحيث أن الثقافة المسيطرة في المجتمع هي ثقافة الطبقة الوسطى فإنهم لا يستطيعون التكيف السليم معها وبالتالي يكون الانحراف.

2_ أن معايير التقدم والصعود في السلم الاجتماعي مرتبطة بتمثل قيم الطبقة الوسطى في المجتمع والالتزام بمعاييرها، والمساهمة الفعالة والجادة بنشاطاتها بل والمشاركة الوجدانية لخدمة أهداف هذه الطبقة في الحياة.

3_ تتميز القيم والمعايير التي تشيع بين أفراد الطبقة المتوسطة في الرغبة في الصعود إلى أعلى، وتحمل المسؤولية الشخصية لكل فشل أو نجاح، وتأجيل الرغبة حتى يحين موعد تحقيقها واحترام الوقت والتخطيط السليم.

4_ بما أن الصفات المذكورة أعلاه لا تتوفر في أبناء الطبقة الدنيا بسبب نمط التنشئة الاجتماعية التي يمرون بها مما يجعلهم يفشلون في تحقيق الطموح الذي يصبون إليه.

5_ وبما أن المجتمع يخضع أبناء الطبقة العاملة (الدنيا) إلى قيم الطبقة الوسطى، ووفقًا لمعايير هذه

الطبقة التي لم يعدها أبناء الطبقة الدنيا في تنشئتهم السابقة، ولذلك يجدون أنفسهم في منزلة اجتماعية أقل من غيرهم نتيجة عدم قدرتهم على المنافسة في ثقافة وقيم لم ينشؤوا عليها.

6_ ونتيجة لذلك يشعر أبناء الطبقة الدنيا بعدم الجدوى في السعي وراء طموحات لا يستطيعون تحقيقها من خلال انتمائهم إلى طبقتهم الدنيا، ولذلك يخلدون إلى اقتناعهم بالبقاء حيث هم.

7_ يشكل هذا الشعور بعدم استطاعتهم مجاراة ثقافة الطبقة الوسطى السبب الجوهري في نشوء الانحراف وعصابات الأطفال الجانحة، حيث يسعى هؤلاء الأطفال إلى تنظيم أنفسهم في تنظيمات اجتماعية تجمع أفرادا متجانسين في غالبية خصائصهم الفردية وظروفهم الاجتماعية، ويعانون من إحباطات متشابهة.

8_ يصبح السلوك المنحرف الذي يصدر عن أفراد العصابة الجانحة جزء من ثقافة فرعية ينتمي إليها الطفل الجانح لأنها تحقق بالنسبة إليه ما لم يستطع تحقيقه في إطار الطبقة العاملة وما لم يستطع تحقيقه خلال تنشئته الاجتماعية المتصلة بهذه الطبقة، وبهذا يصبح الانحراف والجنوح محاولة للتوافق مع معايير

طبقة جديدة لم يعهدها الطفل الجانح في إطار العيش في طبقته، ولذلك فإن انحراف المرهقين هنا يمثل ثورة على معايير وثقافة الطبقة الوسطى من قبل أبناء الطبقة الدنيا.

وقد ذهب العالم" **ميلر Miller** " إلى أبعد من هذا حيث توصل إلى أن للتنشئة الاجتماعية دخل كبير في جنوح الأطفال، كما توصل إلى عدم وجود علاقة بين كل من جنوح أطفال الطبقة الدنيا والاضطرابات النفسية التي يعانون منها.

ويرجع "**ميلر**" أسباب الانحراف لدى أبناء الطبقة الدنيا إلى غياب دور الأب في الأسرة، وقيام الأم بذلك بالإضافة إلى أن الانخراط في عصابة من المنحرفين يساعد المنحرف على تطوير وتنمية الحاجات والسلوكيات التي تتفق مع الاهتمامات المحورية للطبقة الدنيا، وبذلك فإن انحراف أبناء الطبقة الدنيا لا يرجع إلى اضطرابات نفسية يعيشونها حيث يرى" **ميلر** " أن المنحرفون يمثلون الشباب الأكثر قدرة في الحي من حيث القدرات الجسمية والشخصية.

وقد اتجه" **كوهن** "اتجاهًا نفسيًا عند محاولته تفسير الثقافة الخاصة الجانحة، فقد رأى أن كل فعل إنساني– وليس السلوك المنحرف فقط– هو سلسلة مستمرة ومتصلة من جهود يبذلها الفرد لحل المشاكل التي يواجهها، ويقصد " كوهن "هنا بالمشاكل كل ما يصادف الفرد من مواقف في الحياة تتطلب حلولا وعادة ما يتردد الفرد بين أن يفعل أولا يفعل ذلك بهذه الطريقة أم بأخرى، فكل اختيار هو فعل، وكل فعل هو اختيار، وليس كل فعل يعد حلاً ناجحًا، وبالتالي فإن سوء الاختيار للحل يتولد عنه توترات جديدة تتطلب بدورها البحث عن حلول جديدة أيضًا.

ويرجع" **كوهن** "أسباب المشاكل إلى مصدرين أساسين هما:

1_ الموقف: يشير الموقف إلى المجتمع الذي يعيش فيه الفرد، وما يتضمنه من أشياء مادية يتعامل معها ويستخدمها بغية تحقيق أهدافه، كما يتضمن بالإضافة إلى ذلك العادات والتقاليد والتنظيم الاجتماعي الموجود، فضلاً عن الأشياء والأفعال التي يستطيع الفرد انجازها.

وتظهر المشاكل حينما تعوق الظروف الفرد عن تحقيق ما يهدف إليه، فالموقف عادة ما يطرح مجموعة من البدائل لحل المشاكل، وعلى الفرد أن يختار من بينها ما يناسبه لتحقيق أهدافه على أن الموقف – في نفس الوقت– لا يتيح للفرد استخدام بديلين في وقت واحد، كما أن هناك تفاوتا في إتاحة الفرصة بصورة متساوية وعادلة بين جميع أفراد المجتمع، مما يدفع البعض إلى انتهاج وسائل منحرفة

لتحقيق أهدافهم طالما أن الوسائل المشروعة غير متاحة لهم، لذلك فإن ما يراه الفرد ويشعر به يعتمد – إلى حد كبير– على وجهة نظره للأشياء ومعانيها كما يعتمد على الموقف الذي يواجه ذلك الفرد، فعلى سبيل المثال، فإن العمل السياسي ينظر إليه فرد باعتباره مهنة، بينما يعتبره فرد آخر فرصة للخدمة العامة التطوعية في حين يعتبره ثالث شيئًا متعبًا وبدون فائدة وبالتالي فمن الأفضل تجنبه، فمعتقدات الفرد عما هو موجود وما هو محتمل والنتائج المترتبة على الأفعال، لا يفترض فيها بالضرورة أن تأتي متوافقة مع ما هو واقع فعلاً .

2_ الإطار المرجعي: لا تبدو الأشياء والمواقف بصورة واحدة لجميع الأفراد، فعادة ما تتلون بنظرة الفرد،

تلك النظرة التي تمثل مصالح وأهداف كل فرد، وتعد النظرة بمثابة الإطار المرجعي للفرد، ولذا فإن تقييم الأشياء على أنها– نادرة أو متوفرة صعبة أو سهلة، غالية أو رخيصة– يعتمد على وجهة نظر كل فرد على حدة، يشير ذلك إلى عامل أساسي هو مدى الالتزام الأخلاقي إزاء ما يواجه الفرد من مواقف، فالالتزام الأخلاقي هو الذي يدفع الفرد إتيان سلوك معين أو الامتناع عنه.

وعليه فالسوك الاجرامي والانحرافي هو شكل من أشكال العصيان وعدم استجابة الفرد لتوقعات الآخرين، فهو سلوك بتضارب والتوقعات الاجتماعية، ومنه تعد الثقافة الخاصة الجانحة ثقافة تحدي للثقافة العامة، أي للقيم والمعايير الخاصة بالمجتمع والمنظمة للحياة الاجتماعية، فالثقافة الخاصة الجانحة هي شكل من أشكل البدائل أو مخرج يلجأ إليه الجانح للتموقع في البيئة الاجتماعية نظرا لاستحالة تحقيق طموحاته في ظل القيم الثقافية العامة للمجتمع.

أهم الانتقادات الممكن توجيهها لهذه النظرية:

تعد هذه النظرية من النظريات الرائدة في حقل علم الاجتماع الجريمة والانحراف، وهذا لما قدمته من إسهامات نظرية وأمبريقة في تفسير السلوكيات الجانحة وغير السوية، إلا أنها كغيرها من النظريات الأخرى السابقة لم تفلت من النقد، ويمكن القول:

1_ تعد نظرية الثقافات الفرعية الجانحة من النظريات الأحادية الطرح، كونها تعتمد على عامل واحد في تفسير السلوكيات الجانحة وهو العامل الثقافي.

2_ يظهر جليا أن هذه النظرية ذات بعد نفسي –سيكولوجي– أكثر منه اجتماعي، حيث نجد أن المنظومة المفاهيمية لهذه المقاربة في غالبها نفسي.

3_ كذلك يعد منطلق هذه النظرية منطلق ميكانيكي، **سبب ففعل** أي أنها كغيرها من النظريات السابقة لم تستطيع أن تتخلص من مبدأ السببية. Causalité

4_ لا يمكن تعميم هذه النظرية، فهي تصلح في المجتمعات الرأسمالية ذات التقسيم الطبقي الوضح ولا يمكن تعميمها على المجتمعات غير الرأسمالية.

5_ من عيوب هذه النظرية كونها أرجعت السلوكيات الاجرامية والانحرافية ميزة أو خاصية من خصائص الطبقة الفقيرة والمعوزة، وبالتالي تعمل هذه النظرية على تكريس مبدأ الوصم والتميز اتجاه الفقراء دون غيرهم، وكأن الطبقات الأخرى وبالخصوص الطبقة الغنية غير معنية بالسلوكيات الاجرامية والانحرافية، وقد رأينا كيف استطاع العالم" سذرلاند " إظهار جرائم الطبقة الغنية.

6_ كما أنها بتركيزها على عاملي الفقر والجهل المنتشران في أوساط الطبقة الدنيا في تفسير انتشار الثقافة الخاصة الجانحة قد تكون أهملت العديد من العوامل الأخرى وخاصة دور الضبط الاجتماعي والوازع الديني وغيرها من العوامل الأخرى.